مميزات تعدد اللغات في بناء عالم

محمد أزهر
الطالب في درجة الشهادة للدكتوراة مركز الدراسات العربية والإفريقية
كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة جامعة جواهر لال نهرو نيو دلهي
البريد الإلكتروني: azharjnu1@gmail.com

Abstract*:* ***The Advantages of Multilingualism in Building a World.*** This paper is aimed at describing multilingualism In India, a country known with multilingual and multicultural people. India is the most multilingual country in the world and it is the second largest country with a population of more than 17 percent of the world's population. Knowing two or more than two languages becomes the need for communication among speech communities as well as individuals. Defined as an occurrence regarding an individual speaker who uses two or more languages, multilingualism basically arises due to the need to communicate across speech communities. Multilingualism is not a rare but a normal necessity across the world due to globalization and wider cultural communication. Also it is not a recent phenomenon; it was prevalent in the ancient time also. This means that the perspective of global citizenship has achieved a remarkable achievement. There is no doubt in history that India is one of the oldest civilizations and a source of other civilizations in the world and draws the attention of researchers, and is of great importance at the global level.

Keywords: multilingualism; communication; building a world

مقدمة

أنا من الهند الذي يعمر بكثير من اللغات واللسان وهو يتميز بكونه أرضا للحضارات القديمة على شاطئ البحور الهندية كما هو يتميز بكونه حضنا للديانات العريقة الكائنة في العالم. الهند يمتلك وحيدا في أحضانه ما يمتلك العالم كله. وهي أرض ذات ثقافات مختلفة وأعياد عديدة ولغات كثيرة تتعودت الحياة مع الحب والفرحة. وهذا البلد الذي يسكنه المليار وهي ثاني أكبر دولة بعد الصين في بنسبة عدد السكان. ومن الأعجب، كلنا نعيش مع الحب والوئام رغم اختلاف اللون والثقافة والديانة.

والهند بنفسه مثال حي للمواطنة العالمية ومثال حي للعائلة الصغيرة وهي في الواقع مثال حي لعالم أصبح كوخا صغيرا. في كل زاويتها تجد ثقافة ولغة

ولهجة تختلف عن ثقافة ولغة ولهجة في نفس الهند.

والمجتمعات الهندية التي تتعود حياة التعايش السلمي والتي تجعل المواطنة العالمية ممكنة. وهي يمكن أن تلعب دورا بارزا في تحقيق الأحلام المواطنة. ويوجد مفهوم المواطنة العالمية في حضارته منذ عصر سحيق.

الرؤية الهندية حول المواطنة العالمية

منذ أن كان الهند بيتا للملائين من الخارج الذين نزلوا الهند من كل أقاصي العالم وأدانيه واستوطنوه سكنا. فهو بيت المسلمين الذين أتوها من إيران والعرب وتركيا، وهو بيت الطائفة التي نزلت من أسيا الوسطى، ومزجت مع الهنود الأصليين وأصبحت جزء لها. والملخص أن الهند كان يمثل لمواطنة عالمية منذ عصر قديم، ودائما يحامي التعايش السلمي وتعايش الإخوة والمحبة. وهذه الرؤيةتوجدفيطينها وطبيعتها من حيث أن الهند يعتبر العالم عائلة وأسرة و شعاره" العالم أسرة واحدة[1]"Vasudhaiva kutumbakam[2]"شهيرة جدا ومكتوبة في ملاحمه، وهو يشمل الحيوانات والنباتات والمناخ والبيئة وسائر الكائنات الحية. وهو ينادي للأمن اللعالمي إذ هو يقول ويقبل" إمكانية كل دين" *Sarva Panth Sambhav*"[3].

والرؤية الهندية في الواقع عبارة عن السلم وعدم الشدة والعصبية، كما هي رمز انتصار الحق والصدق ضد الخرافات والكذب." [4] "Satyamev jayateوالهند عبارة عن أرض يعهد باحتفاظ البيئة والمناخ بأنه يعطي البيئة منزلة الاله ويؤمن بعبادتها ويمنع من قطعها واستغلالها إلا أن يكون واجبا، وهو عبارة عن أرض تعطي ضيوفها

[1] Robin Seelan (2015), Deconstructing Global Citizenship (Editors: Hassan Bashir and Phillips Gray), Routledge, ISBN 978-1498502580, page 143;

[2] *Mahopanishad* VI.71-73.

[3] *Rakhit, Maanoj. RKM Propagating the Opposite of What Vivekananda and Ramakrishna Had Said: Call to the Rank and File at RKM! Stand Up and Uphold the Truth. Maanoj Rakhit. ISBN 9788189746490.*

[4] *Swami Krishnananda. "The Mundaka Upanishad:Third Mundaka, First Khanda"*

حق الملائكة وتكرمها إكراما[5] "Atithi Devo Bhava".ففي الواقع رؤية الهند توافق رؤية المواطنة العالمية. وهو يتفاعل مع كل شخص مهما اختلفت ثقافته ولغته ودينه، ويحترم التنوع بل يفتخر به ويجعل شعاره " الوحدة في التنوع" فما كانت تسبب في خلق الصراعات والجدال والاصطدام أصبحت قوة وسببا للعيش السلمي في الهند وهذا بسبب الانفتاح والقبول لكل ثقافة ودين .فخرج الهند من منظور وطني بحت إلى وطني واسع، ويمتهن مهارات المشاركة المدنية والفعالية السياسية، والتعاطف الثقافي، واحترام التنوع، والقدرة على التوفيق والتحكيم بين الصراعات والتوصل إلى توافق في الآراء بطريقة المفاوضات والحوار والتسوية القضائية أو غيرها من الوسائل السلمية، بما في ذلك الوكالات والتنظيمات الإقليمية.انظر كيف رسخت جذور المواطنة العالمية في هذه الشعارات والإشارات. وما أعظم هذه الفكرة وما أنبلها، وكم هي قريبة من رؤية المواطنة العالمية.

في الواقع تحتضن أرض الهند في مهدها مواد المواطنة العالمية وهي تشكل ثاني أكبر دول بنسبة السكان وهي سكن لأكثر من سبعة عشر في المئة من إجمالي عدد السكان في العالم، فإذا جرب العدد الكبير في العالم منظور المواطنة العالمية ووجدوا أنفسهم مفتخرين بها، فمعنى ذلك أن منظور المواطنة العالمية قد حقق انجازا كبيرا جديرا بالذكر. ولا شك في التاريخ أن الهند يعتبر من أقدم الحضارات العالمية ومنبعا لحضارات أخرى في العالم وهو يلفت أنظار الباحثين إليه، وله أهمية كبرى على المستوى العالمي.

منذ أن ولدت في هذا البلد الذي لقب بجنة الأرض وترعرعت بين واديه الجميل، وأمضيت أيام طفولتي وصباي بين خضراوته ومياهه العذبة ،و جربت

[5] Taittiriya Upanishad, Shikshavalli I.11.2

مرارا وتكرارا مثال التعايش السلمي والتصالح والتسامح بين الشعوب المختلفة في دينها ولونها وعاداتها وثقافتها مع وحدة التعاطف الإنساني. لا يكون أي منظر أحسن وأجمل من هذا المنظر عندما يشارك كل القرية في الفرحة والسرور كما هي تشارك في وقت الأحزان والألام والأسى. وإني رأيت هذا المنظر بقريب إذ كان المسلم يرقص على مطراب الهندوس وهما مختلفان في الديانة والثقافة.وكنت أتعجب كثيرا إذا أسمع أنباء الصراع بين المجتمعين في أنحاء العالم، وكنت لا أتيقن بها. وكيف لا أتعجب بينما علمني بلادي وقريتي التعايش السلمي والتسامح والمشاركة، فإن احتفال العيد لا يتم بدون مشاركة أصدقائنا الهندوسية، واحتفال الألوان لا تتم بدون مشاركة المسلمين. نعم هذا البلد الهندي بيت للمجتمعات الكثيرة. كنا نشأنا وأكلنا كثيرا في كل بيوت ولا نعلم هل هو مسلم أو هندوسي. وهذا كله أصبح ممكنا بسبب الرؤية الهندية التي وجدناها من أبائنا وأجدادنا كتراث غال، والتي تعلمنا السلم والأخوة والأمن والاحترام والافتخار بالثقافة والانفتاح للثقافة الأخرى وإكرام عادات الأخرين.

وهذا كانت تجربتي في القرى والأحياء وفي ميادين الألعاب و محافل الأعياد، وقويت هذه التجربة عندما التحقت بجامعة شهيرة هندية تعرف بوسعة فكرها و عمق معرفتها وهي في الحق كانت توافق أحلام رئيس الوزراء الهندي الأول جواهر لال نهروالذي يقول:" من مسؤولية الجامعة أن تقف بجانب الإنسانية وأن تسامح وأن تبحث عن الواقع والصدق وأن تقف لمقاصد عليا، وإن كانت الجامعات تحصل ما ذكر فيما أعلاه فهي تخدم لصالح المجتمع والدول."[6] ولا شك إ ذ رءيت هذه الجامعة قد نالت تماما من أهدافها

[6] Mahatma Gandhi,7th April, Indian opinion.

وهي الجامعة التي مكنت لي أن أكتب هذه السطور. وهذه الجامعة ليست جامعة فقط بل هي صورة جميلة وعائلة صغيرة للثقافات واللغات العالمية. تعتبر كلية لغتها وثقافتها من أكبر كلية الجامعة ومن أكبر كلية اللغة والثقافة في أسيا أيضا. وهنا أحس أهمية تعدد اللغات إذ رءيت الطلاب والأساتذة للغات العديدة والثقافات المختلفة قد جمعت تحت مظلة واحدة، ويمكن لي هناك أن أرى ألوان صور الحضارات العالمية بقرب وهي يعطي إحساسا جميلا في القلب وقرارا في العين، وهنا أتمنى وأفكر كم كان العالم أجمل لو كان كهذه الجامعة. وكم نحن سعداء وفرحين لو كنا نلتقي مع الحضارات الأخرى وأناس مناطق العالم بدون أي صعوبة الحدود والتأشيرات والجائزة.والله كان العالم أجمل وأحسن لو يلتقي مع القيم والعادات الأخرى في أكنافه وأنحائه، ألا نرى صورة ممتعة لملتقى الأبحر، ما هي بهاؤها وحسنها.

وإن هذه الجامعة جامعة جواهر لال نهرو التي تعتبر مركزا مهما للتعليم العالي لا في الهند فقط بل في العالم، وهي التي جعلت أفق فكري واسعة ووفرتني فرصة اللقاء مع الأصدقاء ذوات الشعوب والقيم والأديان المختلفة من أقصى الهند وأدناه، ومن موطني أنحاء العالم من أوربا إلي الأمريكان، ومن أفريقا إلى وسطى الأسيا ومن أستراليا إلى مناطق أخرى في العالم. وهذه الجامعة جامعة سكنية يعيش في حرمها الأبناء والبنات كمجتمع واحد ممتعة بالحرية الكاملة، وهناك ترى المواطنة العالمية في كل مكان من موقف البأسات إلى المقاهي ومن الكليات إلى الفنادق والمطاعم ومن الحجرات إلى ميادين الجامعة. بعد زيارة هذه الجامعة تخطر في ذهنك صورا رائعة عندما ترى أفردا من أجناس مختلفة جالسين أمامك متحدثين بلغة مختلفة متلبسين بلباس بلدهم، ومفتخرين

بثقافتهم، قد تشعر بعد رؤية هذا المنظر البهيج أن العالم كله قد تجمع في جامعة واحدة تحت مظلة التعليم. والعنصر المهم الذي جعل هذا كله ممكنا هو التعليم. وينتج من ذلك أن التعليم له دور مهم جدا في محو الفوارق العصبية الجنسية والطائفية واستيصال العصبيات الدينية واللونية من جذورها وتكوين المواطنة العالمية المبنية على أساس الحرية والعدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وفي جعل بناء عالم أفضل يمتلي بالفرح والأمن والسلام.

دور الأمم المتحدة في التقريب بين الأمم والشعوب:

ولا شك أن الأمم المتحدة قد لعبت ولا تزال تلعب دورا ملموسا منذ فجرها الأول في التعاون الدولي في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والصحية وفي الإعانة على تحقيق حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس كافة بلا تمييزبينهم في الجنس أو اللغة أوالدين ولا تفريق بين الرجال والنساء، وإنها فعلت كثيرا في محو الأمية والإفلاس وإزالة الفوارق الجنسية والعصبية.وإنها دائما تؤكد على التنمية المستدامة ،وعقدت البرامج المختلفة لتبادل الأراء والأفكار و حاربت عدم المساواة وعززت التضامن والرعاية البئيية.

وتستحق الأمم المتحدة كل التقدير والشكر والثناء على ما أدت دورها في مجال التعليم. وإنها في الحقيقة تمثل خطوة مهمة موفقة لتحقيق هدف المواطنة العالمية في وقت قريب. وقد قال الأمين العام للأمم المتحدة موكدا على أهمية التعليم: التعليم هو القوة الرئيسية للتنمية البشرية، وإنه يفتح باب العمل، ويقوم بمبدء المساواة، ويساعد في إحسان صحة الأمومة، ويقلل من معدلات أموات الصبيان. والتعليم يؤفر المرء المعرفة والممارسة والقيم التي تجب لبناء عالم أفضل. وقال أيضا: إن

المبادرة التعليمية لها ثلاث مرجحات: الأول: وضع كل طفل في المعهد العلمي والثاني: تحسين نوعية التعليم والثالث: تعزيز رؤية المواطنة العالمية.

ومن هنا واضح أن التعليم يعد حجرا أساسيا نحو بناء الوطن العالمي. والإعلان العالمي لحقوق الإنسان للجمعية العامة للأمم المتحدة هو أول خطوة إلى تحقيق هذا الهدف حيث:

تنص المادة الأولى من الإعلان:

"أن البشر يولدون أحرار ومتساوين في الكرامة والحقوق، وأن من حق كل إنسان أن يتمتع بجميع الحقوق والحريات المقررة في الإعلان، دون أي تمييز، لا سيما بسبب العرق أو اللون أو الأصل القومي.

وتنص المادة الثانية:

"وهويحظر علي أية دولة أو مؤسسة أو جماعة أو أي فرد إجراء أي تمييز كان، في ميدان حقوق الإنسان والحريات الأساسية، في معاملة الأشخاص أو جماعات الأشخاص أو المؤسسات بسبب العرق أو اللون أو الأصل الاثني."

والمادة الثالثة:

"تبذل جهود خاصة لمنع التمييز بسبب العرق أو اللون أو الأصل الاثني لا سيما في ميادين الحقوق المدنية، ونيل المواطنة، والتعليم، والدين، والعمالة، والمهنة والإسكان."

والمادة الحادية عشر:

"تقوم كل دولة بتعزيز احترام ومراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية وفقا لميثاق الأمم المتحدة

وبالالتزام التام الدقيق لأحكام هذا الإعلان والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وإعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستمرة."[7]

وتنص المادة الثالثة عشر:

"لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة. ويحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه".[8]

[7] **حقوق الإنسان: مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك، 1993، رقم المبيع A.94.XIV-Vol.1, Part 1، ص 83**

[8] www.un.org

هذه التصريحات تشكل أهمية كبرى في هذا القرن، قرن التطور وقرن الأمال وقرن التحديات والذي يملأ بالقضايا العديدة، من أهمها قضايا البيئة والحرب والإرهاب والكوارث الطبيعية والإنسانية والجريمة السيبرانية والتجارة والسياسة وقضايا الأسلحة النووية وقضايا الصحة والغذاء والتعليم وقضايا الحقوق الإنسانية الأخرى. وهذه التصريحات لها أهمية كبيرة لدى المحرومين والمتخلفين وطردى والمجروحين،والهاربين من الأوطان والبيوت وخاصة الأطفال والنساء التي تنظر إليها بنظر الأمال. تتطلب هذه القضايا المساعي المشتركة من كل العالم لأن دولة واحدة أو مجتمعا واحدا لا يستطيع أن يحلها هذه المشاكل كالجبال،فالحاجة ماسة إلى جعل عولمة هذه القضايا التي يشارك فيها الجميع والمواطنة العالمية خطوة جميلة تكسب لهم جوا ملائما يتنفسون فيه الصعداء. وأحسن ما قال شاعر الشرق العلامة إقبال: "بلاد الله بلادنا وليس لنا بلد مختص." وما أحسن سقراط في إجابته عن وطنه: " وطني ليس إثنيا ولكن العالم."

ولا بد أن تؤكد المواطنة العالمية على حل هذه القضايا المشتركة التي تهم الجميع، مثلا عى قمع أعمال العدوان وإزالة الفقر ومحو الأمية، ونشر الأمن والسلام ومبادئ المساواة بين الجميع والحرية وتوفير الفرص للجميع والاعتناء بتعليم الأطفال خاصة في الدول المتخلفة، وتبادل الأراء والتواصل وتقليل الأمراض والحد من تفشي المخدرات والمحذورات وغيرها من الأمور التي تحتاج إلى العناية العالمية. ولا بد أن تحتذر من التدخل في الشؤون الدولية التي تقدر عليه الدولة في حلها ومعالجتها، ولا بد الاحتراز من حماية ثقافة ولغة خاصة كما يجب الاحتراز من الإغفال عن حضارة ولسان أخر. وبهذا

الطريق يمكن نجاح الفكرة العالمية على نطاق أوسع، كما يمكن إزالة المخاوف التي ربما تسيطر على أفكار عامة الناس حول ظاهرة المواطنة العالمية. ومن أهم المخاوف هي: المواطنة العالمية هي وسيلة هيمنة ثقافة أو لغة خاصة على ثقافات أخرى، أو هي هيمنة الدول المتقدمة على الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على المستوى العالمي، أو هي فكرة لاستغلال الدول المتطورة والمتخلفة. فيجب من توضيح الفرق بين العولمة والعالمية والمحلية، كما يجب تحديد الأهداف والمقاصد التي تسعى الأمم المتحدة لإنجازها.

الخلاصة

أهمية تعدد اللغات

ومما تجدر بالذكر أن تحقيق هذه الأهداف ليست سهلة وإنما هي تقتضي الجهود المكثفة والمتواصلة بكل صدق وإخلاص، ولأن موضوع "المواطنة العالمية" عالمي، وفي العالم توجد ثقافات ولغات كثيرة، وهي مانعة من الحوار وتبادل الأراء، ولذا يجب تواجد الأفراد والماهرين في لغات عديدة في أن واحد وهم يلعبون دور الجسور بين بحور الثقافات واللغات. فيلعب تعدد اللغات دورا أساسيا في جمع الشعوب والمجتمعات على رصيف واحد وجرها إلى اجتماع الطاولة المستديرة. وتستطيع الأفراد الذين يتكيفون بأسلحة اللغات المتعددة ، ولهم يد لا تنكر في هذا المجال، وبإمكانهم ربط العالم بأجمعه بخيط واحد إنساني، وبإمكانهم تحويل هذا العالم إلى بستان مليئ بالأزهار المفتحة الخلابة التي تجد ماءها من بئر عذب، والذي يقع على شاطئ الأنهار الجارية وعلى واديها أشجار طويلة تتغرد العصافير على أغصانها وتلعب الأطفال تحت ظلالها الوارفة من كل أنحاء العالم. وهذا كله ممكن من تعدد اللغات والمواطنة العالمية.